

شخصية إسلامية ابن عظوم بن فندار القيرواني المالكي وآثاره المتوفي سنة 1013 هـ

Islamic personality Ibn Azoum bin Fandar al-Qayrawani al-Maliki and his influences, who died in 1013 AH

حكيم عشي- المعهد العالي لأصول الدين ، جامعة الزيتونة، تونس

ملخص

إن دراسة الشخصيات والأعلام في التاريخ الإسلامي ذات أهمية كبيرة من حيث بيان دورها ومكانتها وأهم أعمالها العلمية خاصة قصد الاستفادة والإفادة. تعد شخصية ابن عظوم الحفيد من هؤلاء الأعلام الذين تفتخر منطقة الغرب الإسلامي باحتضانها لهم؛ خلال القرن العاشر الهجري. وهذه الدراسة هي إزالة للغموض المحيط بابن عظوم، هذا العلم الجليل الذي نبغ في علوم الشريعة من فقه وعقيدة وغيرها وذلك بالتعريف به، وعرض سيرته، ثم ذكر أهم شيوخه، وتلاميذه، في القسم الأول من الدراسة، وكان قسمها الثاني مخصصاً لدراسة مؤلفه "برنامج الشوارد"؛ إذ حاولنا قدر الإمكان شرح مواضعه، ومسائله، وذلك بعد عرضها؛ هادفين بذلك إبراز ما حواه من فوائد كخطوة لإحياء تراثه وجهوده العلمية والمعرفية.

الكلمات المفتاحية : شخصية إسلامية، ابن عظوم بن فندار القيرواني ، المالكي ، آثاره.

Abstract

The study of personalities and flags in Islamic history is of great importance to the statement of its role and status and the most important scientific work ,especially in order to benefit and benefit .

Iben-adthoum considred the best grandson of these flags, which boasts the area of the west of Islam to observe them; during the tenth century AH. This study is a removal of the ambiguity surrounding Ibn-adthoum, this great scientist, which is revealed in the Islamic sciences and others by definition and presentation of his biography and then mentioned the most important teacher(sheikh) and hisstudents in the first section of the study and the second section dedicated to the study of his book "charivari plan" which explaining its topics and issues after its presentation , aiming to high light the benefits it has as a step to revive its heritage and scientific and knowledge efforts.

Key words: Islamic figure, Ibn Azoum bin Fiddar Al-Qayrawani, al-Maliki, its effects.

مقدمة

الإمام ابن عظوم الحفيد القيرواني أحد أعلام الإسلام، من كبار علماء وقضاة تونس في القرن العاشر. وكانت له إسهامات كثيرة في العقيدة والفقه واللغة، وكتاب "برنامج الشوارد" من الكتب المعتمدة عند المفتين و القضاة وضعه الشيخ ابن عظوم الحفيد لتقوية المذهب المالكي، وإثبات قدمه في تونس.

مخطط البحث:

وسوف نتكلم عن الإمام ابن عظوم الحفيد مع دراسة كتابه برنامج الشوارد، ولقد تم تقسيم الموضوع إلى قسمين وخاتمة، وتحت كل قسم عدة فقرات كما يلي :

القسم الأول: التعريف بالإمام ابن عظوم الحفيد القيرواني، و نبين فيه سيرته وأشهر شيوخه وتلاميذه، وفاته وثناء أهل العلم عليه، و أهم مصنفاته.

القسم الثاني: التعريف بكتاب " برنامج الشوارد " ونبين فيه اسم الكتاب، ونسبته إلى الإمام ابن عظوم والتعريف به وأهميته وسبب تأليفه، ومنهج الإمام في كتابه، وذكر بعض الفوائد العلمية من الكتاب.

الخاتمة: و فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

القسم الأول: التعريف بالإمام ابن عظوم**1- اسمه ومولده ونشأته:**

هو أبو الفضل وأبو القاسم بن محمد بن مرزوق بن عبد الجليل بن محمد بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبد العظيم عظوم بن فندار المرادي القيرواني، عرف بان عظوم المرادي⁽¹⁾.

ولد ابن عظوم الحفيد بالقيروان وبها نشأ وتعلم، إلا أن تاريخ ولادته غير معروف، ولم يذكر الذين ترجموا له تاريخ ولادته.⁽²⁾

ولد محمد بن مرزوق بن عظوم بالقيروان، وبها نشأ في أسرة معروفة بالعلم وولاية المناصب الدينية من قضاء و إفتاء، ثم ارتحل إلى تونس وأخذ عن مشايخها، وأقام بها سنين عديدة، وبها تولى القضاء ثم قُدّم للفتيا في أواخر شعبان سنة 982 هـ، وبقي يمارس هذه المهنة الى جمادى الآخرة سنة 1013 هـ.

كان جيد القريحة ينشر علومه بصدق وإخلاص، وينصح في أقواله، فانتفع به خلق كثير في تونس، ثم عاد إلى بلده القيروان، وحيث فرح الناس بعودته وانتشرت علومه وعم نفعه، وتوفي بها وكان لا يأخذ أجرا على فتواه إلا بقدر ما يكفيه.

وكان شجاعا في الصدع بكلمة الحق ولا يخاف في ذلك لومة لائم، ولا أدل من تلك القصة التي حدثت له مع الحاكم العثماني عثمان الداوي، القصة كما ذكرها صاحب الحلل السندسية قائلا: "وقف صهر الداوي عثمان الزهاني على الشيخ ابن عظوم الحفيد وكان عدلا فاضلا ليكتب له رسما في قضية هي على خلاف المشهور في المذهب فامتنع الشيخ عن الكتابة، فرفع الزهاني القضية للداوي، وكان للداوي غرضا فيها فارسل خلف الشيخ عظوم الحفيد وقال له: مالك امتنعت عن الامتثال؟ فوعظه وعظا أخذ بمجامع قلبه إلى أن انقاد الدي إلى الطريق الصواب حتى قال له: ما رأيت أحدا أليق للفتي منك، وما خرج من عنده إلا راضيا رحم الله الواعظ والمتعظ" ومن خلال تلك القصة تبين أن ابن عظوم الحفيد كان إلى جانب شجاعته واعضا متمكنا خبيرا بالنفوس، فاستطاع التأثير في الأمير ورده إلى الصواب، حتى قدم له هذه الشهادة: (ما رأيت أحدا أليق بطريق الفتيا منك) وهذه القصة تدلنا على شيئين مهمين توفرا في ابن عظوم الحفيد: رسوخه في العلم وقوة إيمانه⁽³⁾

2- شيوخه :

نشأ ابن عظوم الحفيد في وسط علم وفقه، فأول من اهتم به وبتعليمه بعض أفراد أسرته، ممن اشتهر منهم بالعلم، وخاصة والده، وكذا جد أبيه محمد ابن أحمد المعروف بابن عظوم الجد، ثم انتقل إلى تونس وأخذ عن مشايخها منهم أحمد العيسوي المتوفي سنة 952 هـ⁽⁴⁾ والمستبعد أن يكون ابن عظوم الحفيد اكتفى بالدراسة على هؤلاء الأعلام فقط، فقد كان عدد مدارس العلم بتونس في عهد ابن عظوم الحفيد كثيرا جدا، فضلا عن المساجد الكثيرة التي تنتظم بها الدروس، ومن أشهر هذه المدارس : صفاقص، القيروان، سوسة، زفران، باجة، وجربة. أما المساجد فعلى رأسها جميعا جامع الزيتونة الذي يدرس به أكبر الأساتذة مقاما في العلم، وكان الطلبة يتلقون القواعد الأولى لثقافتهم الشرعية في المدن التي ينتسبون إليها، ومنهم من يهاجر إلى تونس فيتلقي العلم على كبار المشايخ نتيجة لقلّة المصادر التي ذكرت شيوخ المؤلف، فأنا نقتصر على جملة منهم وفق الترتيب الزمني لسنوات الوفاة.⁽⁵⁾

- عبد الجليل : هو عبد الجليل بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عبد العظيم عظوم بن فندار القيرواني عالم صالح من المتيمين بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، جمع بين العلم والعمل، وكان رحمه الله تعالى ينظم الشعر، اختلف في تاريخ وفاته قيل سنة 960 هـ وقيل سنة 971 هـ⁽⁶⁾.

- ابن عظوم الجد هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبد العظيم عظوم بن فندار القيرواني - توفي حوالي 950 هـ⁽⁷⁾ من بيت عرف بالفضل من أعلام الفقهاء في عصره، وكان كبير أهل

الشورى في تونس، وعمدة بين أقرانه وعلماء عصره يجلونه، أخذ عن تلاميذ ابن عرفة⁽⁸⁾ وخاصة البرزلي⁽⁹⁾ والزعي⁽¹⁰⁾ ويذكر أنه عاصر القاضي محمد بن عمر القلشاني⁽¹¹⁾، وقاضي الجماعة محمد ابن أحمد قاسم الرصاع⁽¹²⁾، عمر طويلا واختلف المترجمون في تاريخ وفاته، فمنهم من قال توفي بعد 889 هـ.

3- منزلته العلمية وثناء العلماء عليه:

أ- مركزه العلمي:

احتل ابن عظم الحفيد مركزا علميا مرموقا، يأتي بين كبار علماء عصره أمثال الشيخ محمد ابن سلامة⁽¹³⁾ وسالم النفاني⁽¹⁴⁾، والقشاش⁽¹⁵⁾ وقاسم الرصاع، وتظهر مكانته من خلال نشوئه في بيت علم حيث نهل من علوم عائلته، فلقد أخذ العلم في صباه عن بعض أفراد أسرته ممن اشتهر منهم بالعلم والصالح وذلك قبل أن ينتقل إلى تونس، ليأخذ عن مشايخها فورث عن أسرته الاستقامة وخاصة جده عبد الجليل ابن عظم العالم الصالح الذي عرف بشدة حبه للرسول صلى الله عليه وسلم، والذي ألف كتاب "تنبيه الأنام" في بيان علوم مقام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، والذي ذاع صيته، وعم نفعه، وكان يدرسه الوعظ في زمانه.

المعروف على أنهم منذ صغرهم ينشؤون في بيئة علم على حفظ القرآن ودراسة المتون وعلوم الآلة في مجالس المشايخ بجامع القيروان.

هذا مما أهله في اعتلاء صدارة القضاء والإفتاء في ذلك الزمن دليل على مكانته العلمية وعلو قدره بين أقرانه.

ولا يزال ابن عظم الحفيد يدرس و يفتي ويصنف حتى وافاه الأجل رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه آمين⁽¹⁶⁾.

ب- آراء العلماء فيه:

قال عنه محمد الكتاني: " هذا فحل المغرب في العلوم الفقهية المحقق الشيخ من كان على تحقيق الفروع بنضال، وله الباع الذي يسلم في وقتها لإجماع مع معاصريه بلا دفاع ولا نزاع ... وكان جيد القريحة مبثا لعلومه بالنصيحة"⁽¹⁷⁾ وقال عنه الشيخ محمد مخلوف " الفقيه المطلع المحقق للفتيا والنوازل العذوة العمدة الفاضل العالم العامل "⁽¹⁸⁾.

وقال فيه حسين خوجة: " الشيخ المولى الفاضل المحقق فريد عصره و نسيج وحده "⁽¹⁹⁾

وقال عنه محمد محفوظ " الفقيه المحقق "⁽²⁰⁾

ووصفه عمر رضا كحالة: " بالفقيه المالكي "⁽²¹⁾

4- وفاته

بعد حياة مليئة بالعلم والعطاء والدعوة الى الله، والتقوى والورع والصلاح، توفي ابن عظم الحفيد ورغم اختلاف المترجمين في تاريخ وفاته بين 1009 هـ و 1011 هـ فإنه يرجح من خلال صاحب كتاب مقدمة تراجم خليل أن سنة وفاته كانت سنة 1013 هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.⁽²²⁾

5- مؤلفاته:

لقد ترك لنا الإمام ابن عظم القيرواني جملة نافعة من مؤلفاته، و يغلب على تأليفه الطابع الفقهي المالكي يتناول بعض الفروع الفقهية بالتبويب، والشرح والتحليل والتعليق، ويتناول البعض الآخر ناحية التوثيق والإشهاد فيلقي عليها أضواء، و يجلبها بتدقيقات مفيدة، وهذه سمة ذلك العصر.

والملاحظ أن مؤلفاته غالبها مخطوطة وموجودة في مكتبات سواء منها العامة أو الخاصة ومنها:

أ- الأجوبة العظومية وهي عبارة عن مسائل فقهية تقدم لنا مادة فقهية على آراء المجتهدين وعلى ترجيحاتهم وعلى الكتب المعتمدة، وهي اثني عشرة جزءاً أو قيل هي ثلاثون جزءاً⁽²³⁾

ب- الأدلة المحكمة المجازة في افتقار التبرعات الى القبول والحيازة، وهي في الحبس إذا خلا في القبول و حكم حاكم بصحته هل بكفي فيه الجوز أم لا؟⁽²⁴⁾

ج- برنامج الشوارد وهو موجود بالمكتبة الوطنية بالجزائر رقم 1277 زاوية سيدي خليفة ولاية ميله والزاوية الرحمانية، طولقة بسكرة الجزائر⁽²⁵⁾

د- تراجم مختصر خليل، و يسمى أيضا برنامج مختصر خليل، هذا الكتاب وصفه الشيخ ابن عظم بفهرسة اهم مسائل كتاب مختصر خليل والأبواب ومعلوم أن مختصر خليل فيه اختصارات كبيرة و مملوءة بالرموز، فبوب الشيخ ابن عظم الحفيد أغلب مسائله وشرحها وأرجعها إلى أصلها وأبدى رأيه في بعضها معتمدا على ثلاثة كتب في مختصر ابن عرفة وكبير ابن ناجي، وحاوي البرزلي وهو موجود بتونس دار الكتب الوطنية رقم 15096/1 (3233/1 أحمدي)، (16410/1 و 3230/1 أحمدي)، تونس مكتبة حسن حسيني عبد الوهاب رقم 18091.⁽²⁶⁾

هـ- برنامج وثائق القشتالي، هذا الكتاب فيه تبويب لمسائل كتاب وثائق القشتالي وبيان لها وشرح لما غمض منها، وذلك قصد تقريب هذه المسائل من المطالع وتسهيل تناولها وهو مخطوط بتونس دار الكتب الوطنية رقم (6531/3)، (6751/3 عبدلية)، تونس، المكتبة العاشورية رقم (ف،أ) 388، تونس مكتبة محمد الشاذلي النيفر.⁽²⁷⁾

و- مناهل الورود ومبحث القضاء بموجب الجحود، ذكر الشيخ ابن عثوم الحفيد في مقدمة هذه الرسالة بالورقة 49 الوجه (أ) أن موضوعها هو الدعوى والجواب الإنكاري الذي يعقبها وأنه ربما سماها كتاب مناهل الورود و مبحث القضاء بموجب الجحود.⁽²⁸⁾

ز- نعوت المشهود عليه التي يعتمد عليها الشاهد في شهادته، تناول ابن عثوم الحفيد موضوع الإشهاد من زاوية خاصة، وهي زاوية المشهود عليه، وكيف يجب أن يكون وأنواعه وكيفية التعرف به على ذلك في نطاق المذهب المالكي فموضوعها لم يسبق أن أفرد بالتأليف وهو مخطوط في تونس دار الكتب الوطنية رقم 2615، 2254.⁽²⁹⁾

القسم الثاني : التعريف بكتاب "برنامج الشوارد"

1- اسم الكتاب:

جاء في مقدمة المخطوط تسميته ببرنامج الشوارد قال المصنف (وسميته لذلك برنامج الشوارد)⁽³⁰⁾ وذكره الكتاني باسم برنامج الشامل فقال : " تأليفه منها برنامج الشامل المشهور"⁽³¹⁾ أما محمد مخلوف فذكره باسم "برنامج الشوارد على الشامل"⁽³²⁾ ، و نحوه حسن عبد الوهاب فذكر أن له كتاب برنامج الشوارد لاستخراج مسائل الشامل⁽³³⁾ .

2- نسبة الكتاب الى مؤلفه:

نسبة أي كتاب إلى مؤلفه تتحقق بأمور منها، غلاف الكتاب وما دون عليه من عنوان ونسبته وتعليقات للعلماء ثم ما تذكره كتب التراجم من كتب منسوبة للمترجم نفسه. وأيضا النقول التي نقلت من الكتاب. وهناك مجموعة من كتب التراجم التي عقدت ترجمة خصت بها المؤلف، وأشارت ضمن مؤلفاته إلى كتاب "برنامج الشوارد" وهي:

أ- تكميل الصالحاء والأعيان لمحمد الكتاني ص 25

ب- الحلل السندسية في الأخبار التونسية للوزير سراج ج 2 ص 346.

ت- شجرة النور الزكية لمخلوف ص 292.

ث- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي ج 2 ص 455.

د- كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين لحسن حسني عبد الوهاب ج 2 ص 816.

ذ- الذيل لكتاب بشائر أهل الإيمان لحسين خوجة ص 90.

ر- تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ ج 3 ص 462.

ز- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج 8 ص 224.

3- التعريف بالكتاب وأهميته:

تعد كتب البرامج التي يعتمد عليها العلماء في مرحلة من مراحل تاريخ هذه الأمة أسلوباً مبتكراً للتعريف بالشيوخ ومؤلفاتهم، وما أخذوه عن شيوخهم عن طريق الرواية وما قرأوه عنهم من الكتب، فهي صورة صادقة عن الحركة العلمية للعصر الذي دونت فيه، فكتاب "برنامج الشوارد" لابن عظم الحفيد والذي تناول فيه هذه الفكرة الجديدة ونقلها إلى الفقه، فهو يذكر المسألة الشاردة عن أصلها من الكتاب ثم يوضح رأيه ورأي المذهب وقد بنى ذلك كله على كتاب ذاع صيته في عصره يعد من الكتب المعتمدة في فروع الفقه المالكي، للعلامة ابن عبد الله بهرام الدميري⁽³⁴⁾ رئيس المالكية في الديار المصرية.

ويعتبر كتاب برنامج الشوارد من الكتب المعتمدة من المفتين والقضاة وصنفه الشيخ ابن عظم الحفيد لتقوية المذهب المالكي، وإثبات قدمه في تونس، وقد استخرج مسائل هذا الكتاب الجليل كما أشار إلى المشهور من الآراء، أو ما جرى به العمل كما أضاف إلى كتاب الشامل بعض المسائل وبسط فيها القول، وقد اقتصر في استخراجها هذا على أصول المسائل ومهماتها، وغربها وما كثر وقوعها كما نبه إلى مواضع المسائل الواقعة في غير مواقعها ليستريح المحتار وقت الاحتياج إلى الافتاء ويهتدي إلى مطلوبه الوقي عند قصد الافتاء مع تحقيق وتحصيل لذلك.

4- طبع الكتاب وتحقيقه ونشره

لقد تم دراسة أجزاء من الكتاب ولم يتم نشره كاملاً

5- سبب تأليف الكتاب

- تعد المسائل الفقهية التي ناقشها الكتاب من الصعوبة بما كان ولا تحتاج إلى مثل هذا النوع من الكتب لشرحها وتوضيحها.

- يمكن توظيف تلك المسائل واجتهادات لتكوين فكرة حول الحركة العلمية وعلى أهم الكتب التي اعتمدت في ذلك العصر.

- يمكن الاعتماد عليها في ربط الوقائع والأحداث التاريخية والتي يرد ذكرها في إجابات عن فتاوي في ذلك الزمن.

6- منهج ابن عظم في كتابه:

لقد وضع المؤلف غرضه من التأليف وحصر الأغراض في ثلاثة، الأمر الذي جعل التصنيف واضح المعالم بين الشكل لا يحتاج إلى كثرة تفصيل، أما الأغراض التي أراد المؤلف تحقيقها فهي:

أ- وضع برنامج بمعنى جعل فهرسة لفصول كل كتاب، والفهرسة تقتضي سرد العناوين فقط وهذا ما حصل، وقد وضع المصنف برنامجاً وكان واضحاً في بعض الكتب ككتاب الطهارة وكتاب زكاة الفطر وكتاب

صلاة الكسوف وكتاب صلاة الاستسقاء فقد اكتفى المصنف بهذه الكتب بسرد الأبواب والقضايا والمسائل دون أي تدخل.

ب- استخراج المسائل فقد قال في المقدمة "وضعت هذا البرنامج الجليل لاستخراج مسائل هذا الكتاب الجليل" (35)

حاول ابن عظم الحفيد استخراج المسائل التي لها علاقة بالمسائل الشاردة عن مكانها حيث قال : "بما وضع من التشهير أو عمل أو فتوى، بخلاف من فصل عليه في قطرنا الأفريقي" (36)

والتخريج عند الفقهاء بيان رأي المذهب في المسائل الجزئية التي لم يرد عن الإمام فيها نص عن طريق إلحاقها بما يشابهها من المسائل المروية عنه، وبإدخالها تحت قاعدة من قواعده (37)، وبهذا نجد المصنف يرجع بالمسألة إلى نصوص الإمام المباشرة في القضية أو نصوص لأصحابه إن لم يجد ثم نصوص العلماء المحققين في المذهب أمثال: ابن محرز وابن الصائغ وابن رشد، وابن ناجي، والبرزلي، وفي بعض الأحيان يرجع المصنف إلى قواعد المذهب في الفتوى والتي بها عمل الفقهاء. (38)

ت- ذكر المسائل الشاردة عن بابها وهذا من مقتضيات البرمجة، فإن الفقهاء كانوا يذكرون بعض المسائل الفقهية في غير بابها الأصلي لشدة العلاقة بينها وبين الباب الآخر والذي يصعب البحث على الطالب والباحث، لهذا قام المصنف بالتنبيه على تلك المسائل فقال رحمة الله عليه : "وأعظم ذلك فائدة التنبيه على مواضع المسائل الواقعة في غير مواضعها، ليستريح المحتاج مثلي عند وقت الاحتياج ويهتدي مطلوبه الوقي عند قصد الإفتاء... وسميته لذلك برنامج الشوارد" (39)

أولا الجانب الشكلي: لكي نعرف حقيقة الكتاب ونستطيع الحوم حول مؤلفه لابد لنا من أن نعرف أولا بعض المصطلحات:

أ- مفهوم البرنامج: كلمة البرنامج معربة عن كلمة برنامج الفارسية وهي بمعنى الديباجة والفتحة (40) حيث أطلقوها على الورقة الجامعة للحساب أو الزمام (41) على أسماء الشيوخ وترتب على حروف المعجم (42)

ب- الاستخراج: استفعال من خرج ومصدره تخريج، استعمل اللفظ في المذهب المالكي على أربعة معان. (43)

- إطلاقهم التخريج على التوصل إلى أصول الأئمة، وقواعدهم التي بنوا عليها ما توصلوا إليه من أحكام في المسائل الفقهية المنقولة عنهم.

- إطلاق التخريج بمعنى التعليل وتوجيه الآراء المنقولة عن الأئمة.

- إطلاق التخريج بمعنى الاستنباط المقيد، أي بيان رأي الإمام في المسائل الجزئية التي ليس فيها فتوى عن طريق إلحاقها بما يشابهها من المسائل المروية عنه.

- إطلاق التخرّيج على رد الخلافات الفقهية إلى القواعد الأصولية.⁽⁴⁴⁾

ج - برنامج الشوارد: من خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن ابن عظم الحفيد عمد إلى كتاب مشهور عند علماء المالكية وهو كتاب "الشامل للقاضي بهرام الدميري توفي 805هـ" وقام بوضع برنامج له، وذلك بذكر أبواب الكتاب وما يندرج تحتها من فصول وما انطوت عليه من مباحث، ثم عمد إلى المسائل الشاردة عن بابها الأصلي فذكرها و عرف بها كفعله في مسألة الصلاة بالقراءة الشاذة⁽⁴⁵⁾، فإن المؤلف في هذه المسألة عادة أن تذكر عند الفقهاء في كتاب صلاة الجماعة، ولكن الشيخ بهرام ذكرها في كتاب الصلاة، كما عمد المؤلف إلى المسائل التي جرى بها عمل قضاة تونس و فتوى علمائها فقام بتخريجها فقيها، والملاحظ أن المؤلف خلال أبواب العبادات لا يستخدم التخرّيج إلا قليلا، وفي أبواب الأحوال الشخصية والمعاملات المالية يكاد يغلب التخرّيج على البرمجة، وما ذلك إلا لأن لفقه العبادات لا يتصور منه عمل القضاة، والفتوى فيه على المشهور أو الراجح، خلافا لمسائل المعاملات فقد يقضي القاضي بخلاف المشهور أو الراجح، إذا دعت إلى ذلك ضرورة أو وافق الضعيف من أقوال المذهب.

ثانيا: الجانب الأصولي:

أهم الأصول التي أوردت في كتاب برنامج الشوارد لابن عظم الحفيد هي الاستحسان الاستصحاب، الشرط، فرض الكفاية وسأكتفي بعرض مثال واحد فقط.

استصحاب شيء على أصله كما في التضمنين في الشيء المغصوب بالخيار بين أن يأخذ متاعه أو يضمّنه.

ثالثا: أهم المصطلحات الفقهية التي احتوى عليها الكتاب:

الأرجح بإطلاق، الأصح، الصحيح، الظاهر، عمل القضاء بغير المشهور، المشهور، المندوبات، فرض الكفاية، مابه الفتوى. يقول العلامة ابن عظم "الأرجح بإطلاق ما اجتمعت فيه مسالك القوة فكثير قائله وقوى دليله معا ليكون راجحا بإطلاق

رابعا : الجانب الجدالي:

لم يستدل صاحب برنامج الشوارد بقواعد الجدال في كتابه، فهو يرد الأحكام وما ذهب إليه العلماء في تلك المسألة، وقد يذكر القواعد التي بنوا عليها واستخراج الأحكام منها، وقل ما يذكر الأدلة في المسألة.

خامسا : الجانب الخلقي:

يعد كتاب برنامج الشوارد كتابا وضع على الشامل للعلامة بهرام الدميري وهو مشهور عند المالكية ومن أعلامها في مصر، وقد كان ابن عظم يذكر المسائل وكتب العلماء بأدب بعيدا عن الجرح أو الطعن. يقول الإمام ابن عظم "مما اعتنى بجمعه و تهذيبه و تحقيقه و تقريبه وتأصيله وتبويبه وتفصيله الشيخ العلامة الفذ الفهامة الأوحّد المحقق المدقق الناقد الحجة الحافظ المطلع المرجح رئيس المالكية في وقته في

الديار المصرية، حامل المذهب المالكي على كاهله مقبض مشاريعه المتعللة، وناهله تاج الدين أبو البقاء بهرام ابن عبد الله رحمه الله وعليه رضوانه".⁽⁴⁶⁾

7- مصادر الإمام ابن عظم في كتابه:

اعتمد المؤلف على مجموعة من الكتب والتي كانت تعتمد في المذهب المالكي ومشهورة في عصره، وأهم تلك الكتب :

- كتاب الشامل في الفقه وهو للقاضي تاج الدين بهرام توفي سنة 805 هـ⁽⁴⁷⁾ وهو مختصر على شيخه خليل وهو غاية في التحقيق والإجادة.⁽⁴⁸⁾

- الحاوي للفتاوى والنوازل للإمام أبي القاسم ابن أحمد البرزلي البلوي التونسي توفي سنة 841 هـ⁽⁴⁹⁾ فقد ضاع أغلبه وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس.

- نوازل ابن رشد للإمام أبي الوليد محمد ابن أحمد ابن رشد القرطبي المالكي توفي سنة 520 هـ والكتاب مطبوع و متداول.⁽⁵⁰⁾

- نوازل الشعبي والمطبوع منه قسم المعاملات.⁽⁵¹⁾

- أجوبة العز ابن عبد السلام والمتاب مطبوع و متداول.⁽⁵²⁾

- الشرح الكبير والصغير للإمام ابن الناجي التنوخي التونسي توفي سنة 839 هـ⁽⁵³⁾

- أسباب اختلاف العلماء

يقول ابن عظم: " إذا نوى القصر ثم تعمد الإتيان بطلت، وسهوا أعاد بوقت، والجاهل هناك

كالمساهي اتفاقا، وهذا خلاف قول ابن ناجي: الجاهل في العبادات كالعامد على المشهور"

- شروط السفر المبيح للقصر أربعة: العزم وهو عقد النية على قطع المسافة، فلو قطعها ولم يعزم لم يجز له القصر، ألا يقصر حتى يبرز عن بيوت القرية، أن يكون السفر مباحا أو واجبا أو مندوبا، فالواجب كسفر الحج والمندوب كسفر لزيارة الأهل والولد صلة للرحم، والمباح لطلب الرزق، ألا يقتدي المسافر بمقيم، فإن اقتدى به وجب الاتمام.⁽⁵⁴⁾

- إنما ينظر في الخلاف بين العلماء من كان واسع العلم:

يقول الإمام ابن عظم: "سئلت عن جمع البادية في وسط النازلة ليلة المطر، فأجبت إن كان لهم إمام راتب ويجعلون موضعا لصلاتهم أينما نزلوا فإنهم يجمعون، قلت فقد شرط معنى آخر فوق المشقة، وهو أنهم لا يلزمون الصلاة جماعة بإمام راتب ومسجد يقصرون لايقاع الصلاة فيه، فيؤخذ من هذه المسألة وهي إن كان لا يلزم الجماعة مانع وعذر جهل له إذا نزل المطر أن يخرج ليجمع مع الجماعة قلت: لا يجوز له ذلك عملا بما قررناه من الشرط فوق المشقة والله أعلم".

المشقة: هي الجهد والعناء والانكسار الذي يلحق النفس والبدن، ولما كان الله سبحانه وتعالى لا يريد لعباده إلحاق الأتعاب والمضار وإنما يريد منهم عبادتهم كما قال تعالى: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" سورة آل عمران الآية 185. غير أن النفوس متشوقة إلى الأسهل والأيسر من الأعمال، فتراه تعتبر الوضوء وطلبه في فصل الشتاء من المشاق لهذا قسم العلماء المشاق إلى قسمين: الضرب الأول: مشاق لاتنفك عن الأفعال، كالوضوء والغسل في البرد والصلاة في أوقات الراحة، والصيام في النهار الطويل والمخاطرة بالنفس للجهاد.

والقسم الثاني: مشاق منفكة عن الأفعال وهي ثلاث أنواع، أول نوع من المرتبة العليا كالخوف على النفس والأعضاء والمنافع، ثانيا: ونوع في المرتبة الدنيا كالوجع في البطن أو الأصبغ أو سوء مزاج، ثالثا: ونوع بين المرتبتين وعلى هذه القاعدة تتخرج الفتاوى في مشاق العبادات، فإذا اعتبر الشرع نزول المطر مشقة تسقط به عبادة توقيف كالصلاة بوقتها لم ينبغ الزيادة على هذا القدر، أو تحديد بشرط زائد عليه، وهو المحافظة على الصلاة في الجماعة وهذا محصل كلام المؤلف.⁽⁵⁵⁾

الخاتمة

- يظهر من العرض السابق في هذا البحث "الإمام ابن عظوم الحفيد" وكتابة برنامج الشوارد ما يلي:
- 1- أن الإمام ابن عظوم من كبار الأعلام الفقهاء، فهو فقيه وأصولي ولغوي، وله ملكة عقلية راجحة، وتصدر القضاء لدليل على مكانته العلمية.
 - 2- إن مثل هذا الكتب والتي جاءت نتيجة نشاط ثقافي وحركة علمية في ذلك الزمن والتي تعد مرحلة من مراحل هذه الأمة التاريخية حاول المؤلفين التعريف بالشيوخ ومؤلفاتهم عن طريق التدوين كما حاولوا استيعاب نوازل ذلك العصر من فتاوى وقضاء واجتهادات فهي صورة صادقة عن نشاط فكري وتنافس فيه لارضاء الله عز وجل.
 - 3- الكتاب يحتوي على أهم أبواب الفقه، والمسائل التي تناولها الفقه مع ذكر الخلاف بين علماء المذهب، والمشهور في المذهب منها وماضنها في كتب العلماء وأقوالهم فيها مع ذكر المسائل الشاردة عن بابها، وسبب ذلك، كما يحتوي الكتاب على مجموعة من القواعد الفقهية الأصولية والتي ورد ذكرها فيه.
 - 4- نظرا لما احتواه هذا الكتاب من ذكر أسماء الفقهاء والعلماء وكتبهم وماظان المسائل لدليل على سعة اطلاع ابن عظوم الحفيد وحفظه مما يساعد الباحثين والمختصين حين الاعتماد عليه في بحوثهم ونسب الكتب قدماء لأصحابها.

الهوامش

- 1- ينظر تراجم المؤلفين التونسيين (401/3) لمحمد محفوظ، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.
- 2- كتاب العمر (815/2)، تراجم المؤلفين التونسيين (401/3).
- 3- الذيل لكتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان لحسين خوجة، مطبعة الرسمية العربية 1326هـ، ص90، تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان لمحمد بن صالح الكتاني القيرواني، تحقيق وتعليق محمد العنابي، طبعة دار الكتاب الوطنية بتونس، ط1، 1970، معجم المؤلفين التونسيين (134/08)، الحلل السندسية، (344/2).
- 4- الأعلام (275/3) قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي، طبعة دار العلم للملايين، بيروت لبنان ط1980، م5، كتاب العمر (542/2).
- 5- إيضاح المكنون (324/1).
- 6- هداية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون (500/1) لاسماعيل باش البغدادى، طبعة دار الفكر بيروت لبنان، 1410هـ، 1990م.
- 7- تكميل الصلحاء والأعيان ص24، الذيل لكتاب بشائر أهل الإيمان (691/2).
- 8- الأعلام (43/7)، تراجم المؤلفين التونسيين (363/3)، كتاب العمر (262/2)، شجرة النور الزكية 227.
- 9- كتاب العمر (784/2)، تراجم المؤلفين التونسيين (115/1)، الحلل السندسية (685/1)، الأعلام (172/5)، تكميل الصلحاء والأعيان ص9.
- 10- نيل الابتهاج ص621، شجرة النور الزكية ص244.
- 11- الضوء اللامع (257/8)، شجرة النور الزكية ص259، نيل الابتهاج ص258، توشيح الديباج ص212.
- 12- كتاب العمر (804/2)، تراجم المؤلفين التونسيين (358/2)، الأعلام (5/7)، إيضاح المكنون (276/1)، توشيح الديباج وحلية الابتهاج (217/6) لبدرالدين القرافي، تحقيق أحمد الشنيري، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط1، 1403هـ، الحلل السندسية (673/1)، شجرة النور الزكية ص260.
- 13- شجرة النور الزكية ص282.
- 14- شجرة النور الزكية ص292.

- 15- شجرة النور الزكية ص293.
- 16- معجم المؤلفين التونسيين (8/125)، إيضاح المكنون (2/456).
- 17- تكميل الصلحاء والأعيان ص25.
- 18- شجرة النور الزكية ص292.
- 19- الذيل لكتاب بشائر أهل الإيمان ص90.
- 20- تراجم المؤلفين التونسيين (3/40).
- 21- معجم المؤلفين (8/124).
- 22- معجم المؤلفين (8/124)، كتاب العمر (2/816)، تراجم المؤلفين التونسيين (3/401).
- 23- توجد في تونس بدار الكتب الوطنية تحت رقم 14، 44، 482، 49، 718، 4876، 4854، تونس مكتبة ح، ح عبد الوهاب رقم 18305، 18418، 18435، 18436، 18532، 18534، 18536، تونس المكتبة العاشورية رقم (ف.أ) 313، 314، 315.
- 24- تراجم المؤلفين التونسيين (3/401، 402).
- 25- معجم المؤلفين (8/124).
- 26- الذيل لكتاب بشائر أهل الإيمان، ص90، كتاب العمر العمر (2/816-818).
- 27- تراجم المؤلفين (8/124).
- 28- معجم المؤلفين (8/124).
- 29- مقدمة المخطوط الورقة 1 الوجه أ.
- 30- تكميل الصلحاء ص25.
- 31- شجرة النور الزكية ص292.
- 32- كتاب العمر (2/816).
- 33- عبد الله بهرام الدميري.
- 34- عبد الله بهرام الدميري.
- 35- برنامج الشوارد الورقة 1 الوجه ب.

- 36- برنامج الشوارد الورقة 1 الوجه ب.
- 37- ينظر التخرج عند الفقهاء والأصوليين (ص 12).
- 38- ورقة ص 3/ب من المخطوط.
- 39- برنامج الشوارد الورقة 2 الوجه أ.
- 40- ينظر فهرس الفهارس (67/1).
- 41- ينظر فهرس الفهارس (67/1).
- 42- فهرس الفهارس (67/1).
- 43- التخرج عند الفقهاء والأصوليين (ص 11).
- 44- التخرج عند الفقهاء والأصوليين (ص 11).
- 45- برنامج الشوارد الورقة 2 الوجه ل.
- 46- نقلا من مقدمة برنامج الشوارد.
- 47- ينظر نيل الابتهاج 160/1 ، شجرة النور الزكية ص 239.
- 48- ينظر نيل الابتهاج 13/2 ، توشيح الديباج ص 258 ، تكميل الصلحاء والأعيان ص 18.
- 49- ينظر المقدمات الممهدة لبيان ماقتضته رسوم المدونة من الأحكام شرعية والتحصيلات لمحكمات الأمهات مسائلها المشكلات مقدمة المحققين لأبي الوليد القرافي تحقيق محمد بوخبزة طبعة دار الغرب الإسلامية بيروت لبنا الطبعة الأولى 1408 هـ ج 1 ص 7.
- 50- ينظر شجرة النور الزكية ص 123 ، تاريخ الإسلام 792/10.
- 51- ينظر شجرة الذهب 301/5 ، النجوم الزاهرة 182/7.
- 52- ينظر شجرة النور الزكية ص 244 ، الحلل السندسية 691/1 ، الأعلام 179/5 ، الفكر السامي 90/4 ، تراجم المؤلفين التونسيين 8/5.
- 53- ينظر الذخيرة 365/2.
- 54- ينظر الفروق 238/1 ، قواعد الأحكام 7/2.